الغزل في شعر امرئ القيس

م.د. محمد عبد الرضا جاسم

جامعة ميسان/ كلية القانون

المقدمة

الحمد لله حمداً دائماً لا ينقطع أبدا ولا يُحصى له الخلائق عددا وصلى الله على محمد رسول الهدى وعلى اله أئمة الورى ..

وبعد

يظل الشعر الجاهلي ثرياً .. يبعث في النفس إحساسا بالميل إلى الكتابة في ميدانه وتشدُّ الباحث لغته وأسلوبه إذ يلتقي نصوصاً أدبية تشتمل على خصائص فنية و جمالية لها أهميتها وقيمتها فجاء اختيار الباحث شعر امرئ القيس ولا سيما غزله موضوعاً لهذا البحث .

وقد اقتضت طبيعة البحث ان يجيء في فصول ثلاثة يسبقها التمهيد والمقدمة وتتأخر عنها الخاتمة ..

في التمهيد أوجز الباحث القول في نشأة الشاعر وحياته مسلطاً الضوء على خصائص تجربته الشعرية .

أما الفصل الأول فجاء بعنوان بواعث غزل امرئ القيس إذ استوعب البواعث الاجتماعية والنفسية والبواعث الأخرى المتصلة بشخصيته الفريدة وكل ذلك كان بإيجاز شديد مع الإشارة إلى الشواهد الدالة .

وجاء الفصل الثاني ليدرس السمات الموضوعية والأسلوبية التي تميز بها غزل الشاعر والتي أصبحت طابعاً مميزاً لهذا الغزل الذي شغل النقاد قديمهم وحديثهم .

أما الفصل الثالث فقد تكفل بالدراسة الفنية التي تضمنت ثلاثة مباحث .

المبحث الأول تحدث فيه الباحث عن لغة الشاعر وأسلوبه متعرضاً لمعجمه الشعري ، ثم جاء المبحث الثاني متضمناً البناء الصوتي الموسيقي)

وضمن نمطين :

الأول : ما يعرف بالبنية الإيقاعية الخارجية المشتملة على البحور الشعرية والقوافي ، مهتدياً بالنماذج التطبيقية .

وجاء النمط الثاني ليقدم ايجازاً عن عناصر الموسيقى الداخلية في غزل امرئ القيس مكتفياً بأهمها وهي التقسيم المقطعي ثم التكرار الحرفي وتكرار الألفاظ والتراكيب وغيرها من المفاصل الموسيقية

أما المبحث الثالث في هذا الفصل فقد حاول الباحث ان يلمّ بالصورة الشعرية في غزل

الشاعر وعناصرها الخيالية .. وأشار إلى أنماطها المعروفة وهي الصورة التشبيهية والصورة لاستعارية والصورة الكنائية .
ثم ختم الباحث دراسته بنتيجةٍ توجز الشخصية الفنية لهذا الشاعر .

والله وليُّ التوفيق

التمهيد

إن المتأمل في الأدب الجاهلي أو الأدب ما قبل الإسلام يجده متوزعا بين الشعر والنثر .. إلا أن الشعر فيه يحتل ، رتبة علي .. فانه مر بأطوار وأزمان طويلة حتى أستوى على سوقه على يد الشاعر امرئ ألقيس وإضرابه من فحول الجاهلية وهذا ما ظهر جلياً في المعلقات التي كانت على مستوى عالٍ من النضج الفني ..

فمن هنا تميزت القصيدة العربية القديمة بخصائص وسمات دقيقة جعلتها قيماً اتخ ذها الشعراء وساروا عليها في عصور الشعر اللاحقة . لأنَّ القصيدة الجاهلية تركت لنا تجربة شعرية زخرت بالمعاني والأحاسيس والمشاعر النفسية فهي لم تعد تمثيلاً لحياة العرب في الجاهلية فحسب وإنما كانت هناك أسباب عديدة جعلت التجربة الشعرية في القصيدة الجاهلية تثير إعجاب الدارسين المستمر . لأنّها تجربة ليست ضيقة معزولة في حدود البيئة الجاهلية،بل هي تجربة إنسانية عاما . حافلة بالمواقف والرؤى الشعرية الخاصة والعامة عن الحياة [١] . وشاعرنا امرؤ ألقيس الذي ظل تاريخ ميلاده مجهولا إلا أنّه شاعر جاهلي فحل ،وضعه ابن سلام في مقدمة الطبقة الأولى من فحول شعراء الجاهلية . إذ نلمح في شعره معنى خاص يشكل خصيصة من خصائص تجربته الشعري . فهو يبكي الحبيب والمنزل ،ويكشف عن توتره بانقضاء الحياة . ولكنه مقابل ذلك يرى في الحياة مجالاً مهماً للهو واللعب .. فمن هنا كانت تجربته الشعرية لصيقة بحيا ه التي صرفها إلى حياة اللهو . فلذلك وأنت تقرا شعره تجد فيه صورة كاملة من حياته وخُلُقِهِ،ففيا عزة الملوك،وتبذل الصعلوك،وعربدة الماجن،وحمية الثائر،وشكوى الموتور،وذلة الشريا [٢]

---

[١] ينظر الشعر الجاهلي دراسة في تاويلاته النفسية والفنية،د.سعد حسون،مطبعة دار دجلة،الاردن،عمان،٢٠٠٧،ص٣٧.

[٢] تاريخ الادب العربي،احمد حسن الزيات،ط١٣،دار المعرفة،بيروت،لبنان، ١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩ م .

الفصل الأول

بواعث غزل امرئ القيس

أولا : الباعث الاجتماعي
ثانياً : الباعث النفسي
ثالثاً : بواعث أخر

اولاً :
الباعث الاجتماعي :
ان الدوافع التي تبعث في نفس الشاعر الرغبة في قول الشعر (وضع الشاعر الاجتماعي ومكانته . فإذا كان شريفاً فان انبعاثه إلى قول الشعر يكون عن دافعٍ شخصي قوي أقوى مما يدفع شاعراً أخر من رغبة في طلب الشهرة أو العز أو مال)) ".
وان أردنا ان نعرف الغزل .. لا بد لنا من معرفة مبعث ذلك الغزل .. وبواعث غزل الشاعر قد لا تقتصر على باعث واحد بل هناك عدة بواعث قد تكون لشاعر واحد فمن بواعث الغزل في شعر امرؤ القيس نراها مجتمعة لديه متفرقة عند غيره ويتصدر هذه لبواعث ما كان عليه الشاعر من وضع اجتماعي خاص دفعه إلى ان يسلك سلوكاً قوامه المجون واللهو والعبث مع مجموعة من الأصدقاء الذين مالوا معه إلى سلوكه هذا بعيداً عن سلطة الإباء والأعراف السائدة أنذلك .. حيث ان الشاعر ينحدر من سلالة ملكية .. والسلالات الملكية عادة تتميز بالترف والسعة من العيش فالشاب العاشق منها يكون قد تهيأت له أسباب الرفاه فلا يفكر في غير معشوقته ووصالها ونيل شهواته منها .. خاصة إذا كان شاعراً مثل امرئ القيس حيث الجاه والسلطان وسعة من العيش جعلت هذا الشاعر الشاب المتنعم في ظل حكم جده وأبيه معشوقاً وعاشقاً من فتيات القبائل خاصة الخاضعة لحكم سلالته .. مما حدا به ان يُصرّح في حبه وحبيبته متجرءاً في وصفه متخطياً لما ألفه المجتمع من حدود اجتماعية كان واجباً عليه ان يقف عندها إلا أنّ للجاه والسلطان الذي كان يتمتع به الشاعر اثر مباشر في تخطيه تلك الحدود الاجتماعية التي ألفها مجتمعه حيث انه صرح بأسم حبيبته في قوله ":

أفاطمُ مهلاً بعض هذا التدلل وان كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

[1] - ينظر: محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، د. ابتسام مرهون الصفار ، د. ناصر حلاوي، ط ٢ ، ١٩٩٩م ، ص ٣٢٠.

[2] - شرح المعلقات السبع للزوزني/ ضبط محمد علي حمد الله / المكتبة الاموية – دمشق – ١٩٦٣ ، ص٢٢

وهو واسع الخيال لتقلبه في النعيم والسلطان كما انه كثير الإسفار في الحضر والبادية عاشقاً للشعر كعشقه لمحبوبته فكان ((أحسن الناس ابتداء قصيدٍ في الجاهلية ...)) حيث يقول :

إلا عم صباحاً أيها الطل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وإذ يقول : "

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وكثير من شعره ما يمثل حياته اللاهية وترفه في بدء شبابه حيث خروجه للصيد بالطهاة الذين ((يطهون له ولصحبه ما يصيد)) [٤] "

وبفضل الوضع الاجتماعي والمكانة الرفيعة فُضّلَ امرؤ القيس على غيره من الشعراء (لأنه شاعر مطبوع علا بسجيته من غير طمع ولا جزع)) " ف ذا الوضع الاجتماعي الذي تميز عن غيره من الأوضاع الاجتماعية التي عاشها شعراء آخرون هيأ أسبابا للشاعر ان يحيا حياة خاصة تقوم على العبث واللهو وشرب الخمر بعيداً عن أنظار سراة القبيلة فلهوه في شبابه وعبثه آت من هذه المكانة وهذا الحال الميسور فأتخذ الشاعر لذ سه منهجاً حيث رافقه لداتهُ ينفق عليهم الاموال ويشرب معهم الخمر جهاراً يتغزل غزلاً فاضحاً مستجيباً لدواعي الغريزة والعبث والمجون . فلا غرابة ان يقول الشاعر وهو المطبوع) على قول الشعر شعراً غزلياً كثيراً يتسم بالحسية المفرطة والاستهتار بالوصف المادي لمفا تن المرأه ووصف حالة الخلو بها والنيل منها بما يريده العابثون أمثاله . ولعل المعلقة واللامية الأخرى وكثيراً من المقطعات تقف شواهد على هذا الغزل المستجيب للوضع الاجتماعي الذي طبع حياة الشاعر ولا سيما في سنيه الأولى حيث كان لاهياً غير آبه بملك أبيه أو جده قبه ه .

ثانياً : الباعث النفسي

من الحالات النفسية ما يعين الشاعر على بعث قريحته وانثيال معانٍ وأفكار هو بحاجة إليها .. منها كما يرى بعض أهل الأدب ((من ان حسب الشاعر عون على صناعته)) وكما يرى ابن رشيق ((إن للحالة المادية من فقر وغنى أثرا كبيراً في تقوية لدافع النفسي وبعث الحافز على قول الشعر لما يتركه الغنى والفقر من اثر في نفسية الشاعر)) ".

---

[٣] - ينظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢٤ ، تحقيق عبد الكريم الغرباوي والدكتور عبد العزيز مطر اشرف محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م ،ص ٢٦.

[٤] - ينظر : أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، الأعلم الشنتمري ط ١، در الإقامة الجديدة بيروت، ١٩٧٩، ص ١٩.

[٥] - ينظر محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، ص ٣١٣ .

[٦] - ينظر محاضرات في تاريخ النقد عند العرب ، ص ٣١٥-٣١٦

كما ان جيد الشعر هو ما يصدر عن رغبة حقيقية في نفس الشاعر .. وشاعرنا امرؤ القيس) توافر له هذا الدافع النفسي حيث أنّ الغنى والفقر لم يؤثرا في نفسيته فقد تهيأت له أسـ باب الرفاه والعيش الرغيد كونه من عائلة أو سلالة مالكة توافرت لها فرص الترف فهو إذن لا يلتفت إلى التفكير بكيفية غناه أو فقره .. إضافة إلى ذلك فإن النساء تصبو إلى الاقتران بأولاد الملوك من اجل ما ذكرنا من سعة العيش والرفاه وتتودد وتتحبب أليهم فضلاً عن صفاء باله من التفكير بالملك والمملكة كونه قد عاش أيام شبابه في ظل حكم جده وأبيه كما كان لبعده عن أبيه الأثر الكبير في تفرغه للملذات والشهوات وفي مقدمتها النساء .. لذا أصبحت المرأة هي شغله الشاغل في فترة حياته اللاهية فتفنن في وصف محاسنها ومفاتنها حتى انه لم يقف عند حدّ من حدود الشعر التي يفرضها عليه المجتمع القبلي البدوي آنذاك إنما تخطى ذلك إلى التصريح المعلن بالحب وبالغزل باسم محبوبته دون ان يكون هنالك رادع يردعه عن التصريح باسمها – فنجده يقول مصرحاً باسم عنيزه : [٧]

ويوم دخلت الخدر خدر عُنيزةٍ فقالت لك الويلات انـــّك مُرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معــاً عقرت بعيري يا أمرأ القيس فأنزل
فقلت لها سيري وأرخي زمامَهُ ولا تبُعديني من جناك المعـــــلل

ولو اطلعنا على أشعار امرئ القيس فقلما نجد قصيدة و مقطوعة تخلو من غزل أو تشبيب أو وصف مسهب لمحاسن واحدة من محبوباته او أكثر ولو جدنا ان أسماء النساء قد تعددت في شعره مما يدل على أن الشاعر كانت المرأة قد احتلت جزءاً مهماً من حياته حتى في كبره فهو بقي ميالاً لهنّ كما يصرح في بعض أشعاره مبيناً رفض إحدى النسـ اء له زاعمة انه كبر وإنها قد تتطلع إلى رجل شاب فهو يقول [٨].

ألا زعمت بسباســـــة اليوم أنني كبرت وأنْ لا يُحِسنُ اللهوَ أمثالي
كذبت لقد أصبي على المرء عرسه وأمنعُ عرسي أنْ يُزنّ بها الخـــالي

وحاصل ما نريد ان نؤكده في هذا الباعث المهم الباعث النفسي) انه كان مسؤولاً عن كثير من قصائد امرئ القيس ومقطعاته الغزلية لأنّ القوى النفسية هي وراء بعث المخيلة والمعاني المتعددة التي صاغها امرؤ القيس بقوالب شعرية ناجحـ .

فتجربته الشعرية ولا سيما في غزله كانت تصدر عن نفس مليئة بالهواجس المقلقلة المعبرة عن طوايا نفسه العميقة ونحن نقدر ان معاناةً نفسية كانت تُسيّر غزل الشاعر وتؤطر معانيه لذا لجأ الشاعر خلافاً لبقية الشعراء الذين جاؤوا بعده إلى التغزل بالمرأة غزلاً حسياً مفرطاً غير متورع عن وصف ما يتخيله انه وقع أو سيقع مع اللواتي يمارس مـ هن التشبيب والمداعبة بل تجاوز ذلك كله ليصف لنا ممارسته العمل الجنسي

---

[٧] - شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٧-١٩.
[٨] - ينظر الشعر والشعراء ابن قتيبه، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط٢ ، القاهرة، ١٩٩٨،ص ٦٥ .

مع من يتغزل بهن وليس في الشعر العربي قبل الإسلام شاعر جاهر بالزنى إلى القدر الذي تراه في ديوان امرئ القيس .
والباحث يعول على قراءته لديوان امرئ القيس فيكتشف تعليلاً لهذا النوع من الغزل الـ احش الذي تعمد الشاعر ان يجيء بأسماء معشوقاته أو ان يأتي بهن مكناة .. والتعليل في رأينا ينبثق مما ذكره الرواة عن شخصية امرئ القيس إذ أنّ جانباً من هذه الشخصية وهو ما يتعلق بعدم إقبال النساء عليه ، كان الرواة يؤكدون ان الشاعر كان ثقيلاً على النساء وكنّ يكر هنّه وكأنما كان ثقيلاً وهو يؤدي مع المرأة المداعبة والجنس بيد ان رواة آخرين اتهموه بالضعف الجنسي لذا انبرى الشاعر – وكرد فعل منـ - مكابراً معلناً ومجاهراً بقدرته الجنسية المزعومة لذا كان يفرط في وصف قوة غريزته الجنسية وانه لا يمل اللقاء بمعشوقاته لذا وصف لؤ اءه بهنّ بأنه كان شاملاً اثنتين اثنتين أو جماعات كما هو واضح من معلقته وقصائده الأخرى .
ثالثاً : بواعث أخر
كثيرة هي الحالات التي تعين الشاعر على قول الشعر بفنونه المختلفة .. كالغزل والرثاء والمديح والهجاء وغيرها من فنون الأدب ولكن قد تختص بعضها بفن معين ولا تصلح لغيره كما تكون الخلوة في ذكر الأحباب من دواعي قول الغزل لكنها لا تصلح مثلاً للهجاء والمديح وهذا ما كان عليه شاعرنا امرؤ القيس) من خلوة دائمة بحكم بعده عن قبيلته وقومه وتجواله في بطون الأودية والرياض فكان لجمال الطبيعة أيضا اثر واضح في تفتح ذهنية الشاعر وبعث قريحته حيث كان يربط بين جمال تلك الطبيعة وجمال المرأة كما كان لاختيار وقت الليل خاصة سحره داعياً من دواعي قول الشعر الذي يربط فيه بين الغزل والوصف " فهو يقول [٩] ":

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

كما ان هناك دوافع خارجية تهيء النفس وتبعث فيها الرغبة في قول الشعر (ا حسب مزاج الشاعر وعادته وديدنه في الحياة)) مثل شرب الخمر حيث تطيب النفس ويداخلها النشاط والأريحية وهذا ما عاش عليه امرؤ القيس في حياته ، ولظاهرة العشق هي أقوى داعٍ من دواعي قول الغزل حيث يرى العاشـ ق في الشعر والتعبير عن حبه ترويحاً لنفسه من كبت الوجد والهيمان كما قال بعض الأدباء والشعراء (من أراد ان يقول فليعشق فأنه يرق) [١٠] " وهذا شاعرنا العاشق يعبر عن حبه واصفاً حاله يوم ظعن أهل محبوبته كمستخرج حب الحنظل الذي لا يملك سيلان دمعه كما لا يملك من اشتد شوقه وحزنه سيلان دمعه .. يقول [١١] " :

[٩] - ينظر محاضرات في تاريخ النقد عند العرب، ص ٣١٩-٣٢١.
[١٠] - ديوان امرئ القيس، تحقيق ابو الفضل ابراهيم، ص١٨.
[١١] - ينظر : محاضرات في تاريخ النقد عند العرب ص٣٢٢-٣٢٣.
[١٢] - ديوان امرئ القيس ، ص٩.

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وثمة دواع أخرى تبعث على قول الغزل أجدها توافرت في تفكير امرئ القيس وفي تصوراته لما يحيطه من الناس والأشياء ولعل في مقدمة هذه البواعث الا خرى التي سميتها في هذا المبحث هي القدريـ) إذ ان الشاعر كان يؤمن إيمانا مطلقاً بأن القدر مسلط على الإنسان وليس هنالك اختيار ينجي المرء من براثن هذا القدر الفتاك فقضية الموت والفناء) كانت الشغل الذي يجعل امرأ القيس يهرب من واقعه النفسي وصراعه المرير مع لقدر إلى عالمٍ أرحب وأوسع في رأيه هو عالم النساء حيث يروح الشاعر عن ذهنه وباله بما يذكره من أوصافهنّ من كثرة أسمائهنّ وما جرى له معهن في الخلوات مصوراً تهالكهن عليه غير مكترثات لأزواجهن أو أطفالهن متخطيات العادات والتقاليـ .

لذا صور لقاءه بهنَّ بأنه كان لقاءاً شاملاً اثنتين اثنتين أو جمماعات ، مرضعات أو غير متزوجات وهو بهذا كان يرد على هواجسه الداخلية التي تقض مضجعه كقوله في إحدى قصائده [١٣]":

أرانا مـــــوضعين لأمر غيبٍ ونسحر بالطعام وبالشراب
عصـــــــافيرٌ وذبانٌ ودودٌ وأجــرأ من مجلّحة الذئاب
فبعض اللـــــوم عاذلتي فإنّي ستكفيني التجارب وانتسابي
إلى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبُنُي شبابي

فعبارته وهذا الموت) يشعرنا بأن شبح الموت يحيطه وهو قريب منه لذا اضطر إلى الإشارة إليه فكيف يواجه هذه القدرية الجارفة ولعل في كثرة الغزل ما يخفف عب ء هذه الأزمة النفسية التي طوت حياة الشاعر امرئ القيس على الرغم من تظاهره ومكابرته أنّه كان مبتهجاً مسروراً .

[١٣] - ديوان امرؤ القيس ، ص ٩٧-٩٨ .

الفصل الثاني

سمات غزل الشاعر الموضوعة

اولا : انه غزل فاضح
ثانياً : كثرة الغزل بالمتزوجات والمرضعات
ثالثاً : مظاهر الفحش في غزله
رابعاً : ربط الغزل بمعانٍ أخر

اولا : إنّه غزل فاضح

يكشف لنا الشاعر امرؤ القيس من خلال شعره الغزلي عن حياته الباسمة اللاهية معبراً فيه عما يدور في خلجات نفسه من قصص وما تحمله تلك القصص من أحداث ومشاعر . مازجاً لها بفنون القصيدة تدعى بالغزل أو النسيب أو التشبيب)[١٤] ولو تأملنا شعره لتبين لنا انه شاعر مفتون يحب الجمال أينما كان متقلباً بشهواته مع النساء متنقلاً في هواه تنقل النحلة من زهرة إلى أخرى .. حيث اقترن بالمرأة ووعاها بدقة وسرت في دمه وعاشت في عقله وهو يصفها كيف تلعب بعقول الرجال ولا يفلت منها حليم عاقل أو غيره .. يقول[١٥]":

إلى مثلها يرنو الحليم صبابة إذا ما اسبكرّت بين درع ومجولِ
تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادي عن هواك بمنسلِ

وكما ذكرنا في فصل سابق من بحثنا ان امرأ القيس كان قد تخطى التقاليد الاجتماعية في المجتمع الجاهلي ، والتي لا تسمح للشاعر ان ينفرد بالفتاة ليقضي لبانة حبه لكنه تخطى ذلك من خلال شعره الفاضح كالذي يبين فيه انسيابه إلى محبوبته خلسة وخروجه منها[١٦] حيث يقول[١٧] " :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعّتُ من لهو بها غير مُعجَلِ
تجاوزتُ أحراساً إليها ومعشراً عليّ حراصاً لو يُسرُّون مقتلي
إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرُّضَ أثناء الوشاح الـ فصّلِ

---

[١٤] - ينظر القصة في مقدمة القصيدة العربية في العصرين الجاهلي والإسلامي د. علي جابر المنصوري /ط١- مطبعة جامعة بغداد – ١٩٩٠م ص٦٠.
[١٥] - شرح المعلقات السبع للزوزني، ص ٣٦ ، والديوان ص١٨.
[١٦] - بنظر القصة في مقدمة القصيدة العربية ..مصدر سابق ص ٧١ .
[١٧] - الديوان ص ١٣-١٥.

فجئت وقد نضت لنوم ثيـــابها لـــــدى الستر الاّ لبسة المتفضّلِ
فقالت يمينَ الله مالك حيلـــــةٌ وما ان أرى عنك الغواية تنجـــلي
خَرجتُ بها امشي تجرُ وراءنـــا على أثرينا ذيل مرطٍ ،رّحلِ
فلما اجز ا ساحة الحيّ وانتحـــى بنا بطن خبْت ذي ركـــام عقنقلِ
هصرت بفودَي رأســـها فتمـــايلت عليَّ هضيمَ الكشحَ ريّا المـــخلخلِ
مهفهفة بيضاء غير مفاضـــــةٍ ترائبها مصقولة كســـــــجنجلِ

كما انه صرح قبل ذلك بحبه لابنة عمه عُزيزه وما حصل له في هودجها دون مراعاة لتلك النظم الاجتماعية قائلاً [٨]":

ويوم دخلت الخدر خدر عُنيزةٍ فقالت لك الويلات انك مُـرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا مـــعاً عقرت بعيري يامرأ القيس فأنزلِ
فقلت لها سيري وأرخي زمامه ولا تبعديني من جناك المـــعللِ

وبهذا يشير إشارة واضحة إلى انه قد عانقها وشمها وقبلها في هودجها وفي مكان أخر بين دخوله على إحدى الفتيات وكيف أفزعها كما يفزع ولد ألضبيه الطويل العنق الذي وصفه بمكحول المدامع الاتلع يقول [٩] " :

تقول وقد جردّتها من ثـ ابها كما رُعت مكحول المدامع أتلعا

ويعلن عن حبه لابنة الغنوي (ميّ) حيث يقول [١٠] " :

ألا حيّ ابنة الغنويّ ميّـــــا وان بعدت نـــواها من نَـوَيّا
لعمرك إنني لاحبّ ميّـــــا كحب محلاً ظمأنَ ريـــــــاّ
ولو إني أُخيّرُ بين مـــــــيٍّ وليلة ناعم لاخترت ميّـــــــا
ألا يا ميٌّ انك أنت ميّـــــا اعز الناس كلهم عليّـــــــا

وإذ يقول [١١] " :

دخلت على بيضاء جمّ عظامها تُعّفي بذيل الدرع اذ جئت مودقي

وكقوله : [١٢] "

تميل إذا ما انثنت للضـــجيع كميل الكثيب إذا مـــــا استهلْ
ومثل المهاة إذا أقبلـــــــت ومثل الغـــــــزال إذا ما ابلْ
وهيفاء لقاءُ خمصـــــــانةٌ مبتلـــــــــة الخلق ريا الكفلْ

وإذ يقول[٢٣] :

---

[١٨] - ينظر الديوان ، ص١١-١٢
[١٩] - م.ن ص٢٤١.
[٢٠] - م.ن ص ٢٥٩.
[٢١] - الديوان ص١٧١.
[٢٢] - م.ن ص ٣٢٠.
[٢٣] - م.ن ص ٣٢١.

وعاذلة بكرت غـــــــــ اة تلـــــــــــوم وتزعم إني صبوت ُ
وكنت امرأ مغرماً في الشباب اصـــــــيد ُ الغواني إذا ما اشتهتُ
فـــأصبح قد بان منىّ السفاهُ وأبصـــــــرت أمري ثم ارعويت

فهذه النماذج التي اخترتها من ديوان الشاعر تشير إشارة واضحة إلى معانيه الغزلية الفاضحة والى تهتكه في الوصف حيث ان المرأة غدت لعبة يلهو بها وليس ثمة مشاعر حب صادقة تنبعث من الوجدان تجاه من يحب بدليل انه يلهو ويعبث بالمرأة أنّى شاء دون رادع من حياءٍ أو عُرفٍ اجتماعي .

ثانياً
كثرة الغزل بالمتزوجات أو المرضعات
سبق ن اشرنا إلى انّ بواعث الشعر كثيرة ومنها بواعث تجعل الشاعر يقول الشعر بفنونه المختلفة كما ذكرنا من البواعث ما يصلح لقول فن من فنون الشعر ولا يصلح لغيره كالخلوة في ذكر الأحباب التي لا تصلح للهجاء والمديح وإنما قد تختص بقول الغزل وقول الغزل ايضاً ألوان مختل ة قد تختصر بلونين هما :
١ – الغزل العفيف العذري)
– الغزل الفاضح الماجن)

فمن الأمور التي تدعو إلى الغزل الفاضح والذي يشمل الغزل بالمتزوجات وغيرهنَّ من الجميلات في شعر امرئ القيس قد تكون هنالك أمور نفسية أو أسباب جنسية تجعل الشاعر يلتج أ إلى مثل هذا النوع من الغزل إضافة إلى ما هيأته له أسباب الحياة اللاهية والحال الميسورة وما كان يتمتع به الشاعر من جمال الصورة ووسامة الخلق إلا انه كان كما ذكر بعض الرواة ما نصه كان امرؤ القيس وسيماً جميلاً ، مع جماله وحسنه كان مفرك [٢٤] " لا تريده النساء ذا جربنه ، وقال لامرأة تزوجها ما يكره النساء مني ؟ قالت يكرهنَ منك انّك ثقيلُ الصدر خفيف العجز سريع الإراقة بطيء الافاقه وسأل أخرى عن مثل ذلك فقالت : يكرهن منك انك إذا عرقت فحت بريح كلب ، فقال : أنت صدقتيني ، إنّ أهلي أرضعوني بلبن كلبة . ولم تصبر عليه إلا امرأة من كنده يقال لها هند ، وكان أكثر ولده منها) [٢٥] "
وهذا ان صح فهو سبب مهم جعل الشاعر يكابر في ذلك ويحاول ان يغلب على مثل هذا الحال بما يبينه في أشعاره من انه معشوق من قبل النساء وانه يصل إلى ما يريد منهنَّ رغم كل الأسباب والمعوقات التي تعيق طريقه وهو يقول [٢٦] " :

[٢٤] - مفركاً: مكروهاً من قبل النساء .. والمرأة الفارك المبغضه لزوجها.
[٢٥] - ينظر الشعر والشعراء / ابن قتيبه ، ج١، ص ١٢١.
[٢٦] - ينظر الديوان ص ٣١-٣٢.

سموت إليها بعدما نام أهلُهـــا سُمُوَّ حَبَاب الماء حالا على حالِ
فقالت سباك الله انّك فاضحـــي الست ترى السّمار والناس أحوالي
فقلت يمين الله أبرحُ قاعـــداً ولو قطّعوا رأســي لديك وأوصالي
حلـ تُ لها بالله حِلفَة فاجـــرٍ لناموا فما ان من حديثٍ ولا صالِ
وصرنا إلى الحسني ورَقَّ كلامُنا ورُضْتُ فذلّت صـــعبةً أي إذلال
فأصبحتُ معشوقاً وأصبحَ بعلُهـا عليـــــه القتامُ سَيء الظن والبالِ

وهذا مما عاب عليه من تصريح (بالزنا ودبيب إلى حُرم الناس والشعراء تتوقى ذلك في الشعر وان فعلته)[٧] وكان امرؤ القيس يُعد من عشاق العرب وزناتهم كما كان يشبب بالنساء كفاطمة بنت العبيد بن ثعلبه بن عامر العذرية حيث يقول[٨]:

افاطم مهلاً بعض هذا التدللِ وان كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

كما يقول[٩] :

فلا وأبيك ابنة العـــامريّ لا يدعى القوم أني أفـــــــــرّ

إذن فالشاعر كان يدفع عن نفسه الم يحس به من تلك الأمور التي ذكرت والتي تعد معايب في الرجال لذا لجأ إلى كثرة التغزل بالمتزوجات والتصريح بأسمائهنّ والتقليل من شأن أزواجهنّ حيث يصرفنَ النظر عنهم ويصوبنَ نظرهنّ إليه لما له من ميزةٍ كبيرة على الرجال كما يدعيها تدعو النساء يعشقنه ويتغزلنَ به ذلك ليتخلص مما يحس به من ألم داخلي لما ذكرنا من تلك الأمور النفسية والجنسية .

ثالثاً :

مظاهر الفحش في غزله :

أما مظاهر الفحش في غزله فكثيرة هي وقد أخذت معلقته منها الحظ الأوفر في ذلك إذ يقول[١٠] :

ومثلك حبلى قد طرقتُ ومرضعٍ فألهيتها عن ذي تمائمَ محولِ
إذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشقٍ وشقٌ عندنا لم يحـــولِ

ولعل هذا البيت يعدُ أفحش بيت في الغزل وأفحش ما قاله امرؤ القيس .

وكقولا[١١] :

وبيضةِ خدرٍ لا يُرامُ خِبـــاؤها تَمتعتُ من لهو بها غير مُعَجلِ
تجاوزت احراساً إليها ومعشراً عليَّ حراصاً يسّرون مقتـــــي
فجئت وقد نضت لنوم ثيابهـــا لدى الستر الاّ لبسة المتفضّـــلِ

---

[٢٧] - ينظر الشعر والشعراء مصدر سابق ص١٣٥.
[٢٨] - ينظر الديوان ص١٢.
[٢٩]- ينظر الديوان ص١٥٤.
[٣٠] - الديوان ص١٢.
[٣١] - الديوان ص ١٣-١٥.

هصرتُ بفَوْدَي رأسها فتمايلت علي ّهضيم الكشح ريّا الـــخلخلِ
مهفهفة بيضاء غير مفاضـــةٍ ترائبها مصقولةٍ كالســـــــجنجلِ

وقال [٣٢] :

دخلت على بيضاء جم عظامها تُعقّي بذيل الدرع إذ جئت مـــودقي

وقولا [٣٣] :

عظيمـــــةُ حلمٍ إذا استنطقت تطيل السكوت إذا لم تُســـــــــلْ
تميل إذا ما انثنت للضجيع كميل الكثيب إذا ما استهـــــــــل ْ

وفي قولا [٣٤] :

تقول وقد جردتها من ثيابها كما رعتُ مكحول المدامع اتلعا

وامرؤ القيس هو الذي سبق إلى الغزل الفاحش الصريح وتبعه الشعراء من بعده وان لم يبلغوا مبلغه من الفحش والصراحة ..
ولعله من اجل ذلك ذكره النبي ص) فقال : (هو قائد الشعراء إلى النار) وفي خبر أخر معه لواء الشعراء إلى النار [٣٥].

رابعاً :

ربط الغزل بمعانٍ أخر :

وربط الشاعر غزله بمعانٍ أخر منها ما أخذه من الطبيعة وجمالها .. فهو أول من شبه الثغر في لونه بشوك السيال فقال [٣٦] :

منابتهُ مثل السدوس ولونـــــه كشوك السيال وهو عذب يفيض

ومنه ما أخذه من الليل وسكونه وه وءه كما يقول [٣٧]:

وليل كموج البحر أرخى سدوله عـــــــلي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصـــــلبه وأردف إعجـــــازاً وناء بكلكلِ
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الاصــباح منك بأمثلِ

فهو يخاطب الليل الذي وصفه بالطول راجياً منه الانجلاء كي يحل الصباح ثم يرجع ويقول له ان الصبح ليس بأحسن منك فالهموم متراكمة ليلاً ونهاراً بسبب ما يعانيه من تباع الهوى وشدة الشوق لمن يحب كما اهتم كثيراً بوصف فرسه مستعيناً بالتشبيهات على إحياء الصورة الكلامية وبعث معاني الـِ ركة والنشاط في العبارة فقد شبهه بجلمود صخر حطه السيل ومثل نشاطه بإرخاء السرحان وتقريب التنقل كما وصفه بالخفة

---

[٣٢] - الديوان ص ١٧١.
[٣٣] - الديوان ص ٢٩٦-٢٩٧.
[٣٤] - الديوان ص ٢٤١.
[٣٥] - ينظر الشعر والشعراء / ابن قتيبه ص ١٢٦.
[٣٦] - الديوان ص١٧٨.
[٣٧] - الديوان ص١٨.

والانجراد والضمور وحديثه عن وصف فرسه طويل ذكره في مواضعَ متعددةٍ منها قولا [٨] :

وقد أغتدي والطير في وكناتهـــا بمنجردٍ قيد الأو د هيكـــــــــل
مكرّ مفرّ مُقبلٍ مدبرٍ مـــــــعاً كجلمود صخر حطّه السيل من عَلِ
له ايطلا ظبي وساقا نعامـــةٍ وإرخاء سرحان وتقـــــريب تتفلِ

فالشاعر مولع بوصف فرسه وصيده ولذاته وكأنه يريد ان يضع بين يدي معشوقته فروسيته وشجا ته ومهارته في ركوب الخيل واصطياد الوحش ومما يؤيد هذا الرصد ان الشاعر كثيراً ا يؤكد ربط الغزل بهذه المعاني على شاكلة قوله مصوراً أيامه الخوالي بعد ان كبر قائلا [٩] :

كأني لم اركب جواداً للـــــذةٍ ولم اتبطّن كاعباً ذات خلخالِ
ولم اسبأ الزّقّ ا روي ولم اقل نـــــخيلي كرّي كرّة بعد إجفال

ان ترابط هذه المعاني يمثل لنا ان شخصية امرئ القيس ومزاجه يقومان على هذه الثلاثية .. الفروسية والخمرة والنساء وهي الثلاثية التي أكدها بعده طرفه بن العبد قائلا [١٠] :

ولو لا ثلاث هن من عيشة الفتى وحقك لم ْ احفل بما قام عودي

وامرؤ القيس بوصفه احد الشعراء الفرسان نجده دائم التطرق لتفوقه في الغزل على معاصريه من حيث الربط بينه وبين معان أخرى مة ماً فيها صورة وصفية غزلية بديعة

[٣٨] - الديوان ص ١٩-٢١.
[٣٩] - الديوان ص ١٩-٢١.
[٤٠] -ديوان طرفه بن العبد / مع شرح الاديب يوسف الاعلم الشنتمري / طبعة مدينة شالون / مطابع برطرند – ١٩٠٠م ،ص١٠٥.

الفصل الثالث

المبحث الأول
اللغة والأسلوب
المبحث الثاني
البنية الموسيقية
المبحث الرابع
الصورة الشعرية والعناصر الخيالية

المبحث الأول
اللغة والأسلوب

من خلال الاطلاع على أشعار امرئ القيس خاصة في النسيب والغزل ووصف النساء والخيل نجد أن عباراته قريبة المنال ليس فيها عسر أو صعوبة .. كما انه كان متسقاً في ترتيب الألفاظ في شعره مستوياً في عباراته وكأنه يملك أزمة اللغة بيده ، وهذا ما يؤيده قول ابن سلام الجمحي في كتاب طبقات فحول الشعراء ما نصه :

((سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنتها العرب واتبعته فيها الشعراء منها : استيقاف صحبه، البكاء في الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ وشبه بالضباء والبيض .. وأجاد في التشبيه وفصل بين النسيب وبين المعنى وكان أحسن طبقته تشبيهاً)) [41] . كما كان كثيراً ما يلائم بين ألفاظه فقليل ما نلقى فيها لفظة نابية في حروفها فلغته سلسة سهلة بعيدة عن التكلف والتعقيد .. فلنتأمل قوله في إحدى قصائده الغزلية فهو يقول [42] :

فأقبلت زحفاً على الركبتين فثوباً لبست وثوباً اجرُّ

فالألفاظ رغم سلاستها وعفويتها أدائها إلا أنها تظهر لنا قدرة الشاعر على التعبير بما يسمونه النقّاد بالسهل الممتنع .. ونقصد به أنّ الألفاظ والتراكيب تتراءى ميسورةً سهلة التناول إلا أنّك لا تستطيع أن تأتي بأمثالها أي يمتنع عليك مجاراتها .. وهي اظهر خصائص امرئ القيس في الشعر فالسهولة والوضوح وقوة التأكيد لا تفارق قصائده ولا سيما في غزله . أما من حيث التركيب ونقصد به : التعبير الشعري فإنّ الشاعر كان سباقاً إلى الإتيان بسهولة التركيب وحسن الصياغة مع قوة السبك . ويرى الباحث أنَّ الصياغة المتماسكة لغةً واداءً متأتية من صدق مشاعر الفنان حيث تصل كلماته وتراكيبه إلى القلب مباشرةً دون استئذان لأنها انبعثت من القلب والوجدان على شاكلة

---

[41] - ينظر طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي ص ٤٦.
[42] - الديوان ص ١٥٩ .

قوله معبراً عن لهفته إلى وصف النسـ ء وادعائه انه المعشوق وأنهنَّ المولعات بحبه المعذبات بفراقه قائلا [٣] " :

ويا رُبَّ يومٍ قد أروحُ مُـرَجَّلاً حبيباً إلى البيض الكواعب أملسـا
يَرُعن َإلى صوتي إذا ما سَمِعْنَهُ كما ترعوي عِيطٌ إلى صَوْتِ أعيسا

وهكذا دعي أن الكواعب : وهي جمع كاعبٍ وهي الفتاة التي كعب ثديها .. أي نهد وارتفع للخروج كيف يرجعن ويَملن إليه وهو الشاب الناعم الأملس المسرح ألجمه المدهونها يرجعن ويملن إليه حباً به وكلفاً ..

كما ترجع الإبل الطوال الأعناق إلى الاعيسر : البعير الأبيض الذي يضرب بياضه إلى الحمرة والشقرة . أما على صعيد المعجم الشعري لغزل الشاعر فنجد أن الألفاظ الرقيقة والأوصاف الجسدية وكنى وألقاب وأسماء المعشوقات قد هيمن على معجمه الغزلي ، فضلاً عن ربطه المرأة وجسدها بصورة من التشبيه سيتطرق إليها الباحث في مبحث آخر ، وعلى الجملة فإن أس وب امرئ القيس ولغته الشعرية تبدو عن غيره من شعراء عصره إذ أنها صورة مطابقة لخياله ومزاجه وتطلعاته نحو المرأة والطبيعة كما أنها تمثل شعوره وهواجسه ومعاناته النفسية الحادة التي حدت به أنْ يخصص جُلَّ شعره لعنصر المرأة .. فيقيناً أن تنجر ألفاظه إلى الرقة وا سلاسة لان مثل تلك الصفات تناسب المرأة المتغزل بها من قبل عاشق وأمير أتيحت له كل أسباب العيش الرغيد واللهو بالمرأة والنيل منها مهما كان نسبها أو مكانتها الاجتماعية .

ونلمح في لغته اعتماده عل أساليب بلاغية كالاستفهام والنداء حيث يستغرق الشاعر في بث شكواه وإذ هار لوعته كقوله في معلقته مستعملاً النداء [٤] " :

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وان كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

ثم يقول مستخدماً حرف الاستفهام نفسا [٥] " :

أغرّك مني أنَّ حبك قاتلي وانَّك مهما تأمري القلبَ يفعـــــــلِ

ومن المفاصل البنائية ا ي أسلوبه الغزلي انه يعتمد الحوار بينه وبين معشوقاته لتأكيد المعنى والاستغراق في وصف إقباله على النساء على شاكلة قوله في معلقته [٦] ":

ويوم دخلت الخدرَ خدرَ عُنيزةٍ فقالت لك الويلاتُ انّك مُـــرجِلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معــاً عَقرْتَ بَعيري ياأمرأ القيس فــأنزلِ
فقلت لها سيري وأرخي زمامه ولا تبعديني من جناك المُـــعّللِ

ثم يقول ثانية بعد أبيات [٧] ":

---

[٤٣] - الديوان ص ١٠٦ .
[٤٤] - الديوان ص١٢ .
[٤٥] - الديوان ص ١٣ .
[٤٦] - الديوان ص١١-١٢ .
[٤٧] - الديوان ص١٤-١٥ .

فقالت يمينَ الله مالك حـــــيلةٌ ... وما ان أرى عنك الغواية تنْجلـــي
خرجت بها أمشي تجرُّ وراءنـــا ... على أثرَينا ذَيلَ مِرْطٍ مُـــــــرَحَّلِ
فلما اجَزْنا ساحة الحيّ وانتحى ... بنـــــا بطن خَبْتٍ ذي حِقاف عقنقلِ
هَصَرتُ بفَوْدي رأسها فتمايـَلت ... عليَّ هضيم الكشح ريـــــا المخلخلِ

المبحث الثاني
البنية الموسيقية :

توطئة :

لما كان الشعر مختلفاً عن النثر بالوزن والقافية لذا فأن الوزن والقافية هما عماد الشعر ويعدان من ابرز ما يحتويه الشعر من قوة الإيحاء وبعد الأثر في المتلقي ، ولذا قال قدامه بن جعفر (الشعر كلام موزون مقفى له معنى)[٤٨] "

لذا آثر الباحث ان يتحدث في هذا المحث عن البنية الموسيقية بنمطيها :

أ – البنية الإيقاعية الخارجية المتمثلة بالبحور الخليلية وما يتبعها من قوافٍ والباحث هنا يتحرى هل استطاعت بحور امرئ القيس في الغزل ان تتناسق مع معانيه وصوره الشعرية بحيث تؤدي الوظيفتين الافهامية والجمالية ؟

فلنتأمل ما قاله امرؤ القيس في هذه الأبيات التي وردت مقدمة لقصيدة طويلة[٤٩] ":

سما لك شوقٌ بعد ما كان اقصرا ... وحلت سُليمى بطن فوَّ فعرعـــرا
كنانية بانت وفي الصدرُ ودُّهـــا ... مجاورةٌ غسّانَ والحيَّ يعَمـــــرَا
بعينيَّ ظعنُ الحي لما تحمّلـــوا ... لدى جانب الافلاج من جنب تيمرا

وهي من البحر الطويل وهذا البحر ذو تشكيلة عروضية معروفة فعولن – مفاعيلن – مفعولن – مفاعلن) ولهذه التشكيلة قدرة تمنح الشاعر أفقا واسعاً في بث تجاربه الذاتية أو شكواه لان هذه التشكيلة بمقاطعها الطويلة تجعل الـ نان قادراً على التعبير بحرية عما يحسه والنموذج السابق الذي اختصرنا تحليله يبدو مصداقاً لهذه الظاهرة الموسيقية .

ولنطالع أنموذجا ثانياً من شعره الغزلي الذي يقول فيه [٥٠] ":

أحار بن عمروٍ وكأني خمـــرْ ... ويَعْدو على المرء ما يأتمِرْ
فلا وأبيكِ ابنَةَ العامـــــري ... لا يدّعي القوم انّي افِـــــرّ

إلى أن يقول :

وهرٌّ تصيدُ قلوبَ الرجال ... وافلَت منها ابنُ عمروٍ حُجُرْ
رمتني بسهم أصاب الفؤاد ... غداة لرحيل فلم انتصـــــرْ

---

[٤٨] - ينظر: نقد الشعر – قدامه بن جعفر – تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ط١ القاهرة ص ٢٨.
[٤٩] - الديوان ص ٥٦.
[٥٠] - الديوان ص ١٥٤-١٥٦.

فأسبل دمعي كَفَضّ الجُمانِ أو الدُّرّ رقراقُهُ المنحـــــدرْ
وإذ هي تمشي كمشي النزيف يصرعُهُ بالكثيب البُهُـــــرْ

فهذه التشكيلة العروضية المتكونة من تفعيلة فعولن) ثمان مرات وهذه التفعيلة المتضمنة لتلاحق الأوتاد والأسباب وكأنما تمثل القفز وكأنك تكرر بسرعة لن فعو ـ لن فعو – لن فعو) وهكذا تكون دورة المتقارب المظهرة للتلاحق وسرعة الحركة مع الخفة والانتظام .

أما القافية وهي الدعامة الثانية للوزن وهي الوحدة الموسيقية التي تمثل نهاية الموجة النغمية للبيت حيث يتوقع السامع تكرارها في أوقات منتظمة وكأنما هي تعمل على هندسة الأبيات هندسة موسيقية وعلى صعيد غزل امرئ القيس نرى قوافيه في قصائده الغزلية جاءت معبرة عن عاطفته وكأنما كانت القوافي قد استدعتها العاطفة السائدة في نصوصه ، وابتداءً من المعلقة نجد ان حرف الروي فيها وهو اللام التي عرفت بليونتها إذ جاء هذا الروي مكسوراً والكسرة تمثل امتداداً للياء مما يتلاءم وعاطفة الشاعر الرقيقة المنكسرة تجاه محبوباته وهكذا اختيرت القافية بهذه المعلقة بكل نجاح لتخدم مضمون الشاعر الغزلي ولسنا بحاجة إلى الإ تيان بأبيات من المعلقة لكثرة استشهادنا بها في مباحثنا ، وقد يأتي الشاعر برويّ يتبعه بحرف الإطلاق اشباعاً للمد ليكون التأثير الموسيقي التقفوي على أشده ويمثل هذا قولا [١] " :

ألا حيّ ابنة الغنويّ ميّا وان بعدت نواها من نو ا
لعمرك إنني لأحبّ ميّا كحب محلاً ظمأنَ ريـــاّ
ولو أني أخير بين ميّ وليلة ناعم لاخترت ميّـــا
ألا يا ميُّ انك أنت ميّا اعـــــز الناس كلهم عليّا

في هذه المقطعه طغى الثراء الموسيقي المتمثل بتشكيلة البحر الوافر المعروفة بمقاطعها الطويلة فضلاً عن الأداء التقفوي الذي اختاره الشاعر ليوافق كثرة المقاطع الطويلة حيث ان القيمة الصوتية لتواتر المقاطع الطويلة في البيت تتأتى من قدرة الشاعر على التعبير عما يتلجلج في صدره لأنه من الناحية الفيزيائية ان المقطع الطويل يؤدي قدرة صوتية وهذا بدوره يقدم عوناً للمعنى .

ب – البنية الإيقاعية الداخلية :

وتسمى هذه البنية بالإيقاع الحر أو المقيد ، كالبنية الخارجية . وهنا يتفاوت الشعراء قدرةً وعطاءً ، فمنهم من يوظف الإيقاع الداخلي في قصيدته توظيفاً أمثل ليسند به إيقاعه الخارجي المتمثل بالبحر الخليلي والقافية ومنهم من لم يوفق إلى الإيقاع الداخلي فتاتي أبياته مفتقرة إلى التأثير في المتلقي ، ونحسب ان امرأ القيس قد اهتدى أو ان عاطفته الصادقة وقوة طبعه قادته إلى توظيف عناصر الإيقاع توظيفاً شعرياً . ولكن ما

[١] - الديوان ص٢٥٩.

عناصر الإيقاع الداخلي المتوافرة في ديوانه ؟ يتقدم هذه العناصر التقسيم المقطعي والتوازن الصوتي الذي أحدثه الشاعر في أكثر أبياته كقولا [٢] " :

فلما دَنوتُ تسدّيتها فثوباً نسيتُ وثوباً اجرَّ

وثمة توازن صوتي أخر حدثه الشاعر في بيت غزلي له [٣] ":

كأنَّ المُدام وصَوبَ الغَمَام وريحَ الخُزامى ونشْرَ القُطُر ْ

يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابهـــــــا إذا طرب الطائرُ المستحِر

والعنصر الثاني الذي تسبب في الثراء الموسيقي الداخلي في شر عر امرئ القيس هو التكرار . والتكرار يعد وسيلة من الوسائل الموسيقية التي تسلط الضوء على نفسية الفنان ، وهو (تناوب الألفاظ وأعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً تقصده الناظم في شعر) [٤] "

وهو في حقيقته (إلحاح على جهة هامة في العبارة يعني بها الش عر أكثر من عنايته بسواه) [٥] "

ويقسم التكرار إلى تكرار الحروف وتكرار اللفظ .. ومن تكرار الحروف في غزل امرئ القيس قوله في مطلع قصيدة لا [٦] " :

صحا اليوم قلبي عن لميس واقصرا وجن بها ما جُنَّ ثّمتَ ابصرا

فقد ترى تكرار صوت الصا) في البيت وهو احد أصو ات الصفير في اللغة العربية وغيرها [٧] " . ولو تحرينا ديوانه نجد كثيراً من الجناس الحرفي لأصوات مختلفة تؤدي مدلولات أرادها الشاعر ان تؤكد للمتلقي المعاني التي قصدها الشاعر . أما تكرار الألفاظ والتراكيب فهي الأخرى كثيرة في غزله على شاكلة قوله الأتي [٨] ":

فأن أمس مكروباً فيا ربَ قينةٍ مُنعَّمَةٍ أعملتها بكـــــــــران

وإنْ أمس مكروباً فيا ربَ بُهمةٍ كَشْفتُ إذا ما اسودّ وجه الجبانِ

وإنْ أمس مكروباً فيا رُبّ غارةٍ شَهِدْتُ على أقبَ رَخْوِ للَّبـــــانِ

فالشاعر هنا كرر العبارة فأن امسي مكروباً) ثلاث مرات مما يؤكد الحاح الشاعر على مثل هذا المضمون ليوصله إلى المتلقي متخذاً من التكرار وسيلة موسيقية تؤكد مضمونه إضافة إلى خلق النغمة الموسيقية التي يتطلبه بحر القصيدة الطويل).

ويمكن للباحث ان يقع على عشرات المواضع في ديوانه توافر فيها هذا النمط من التكرار الموحي بقوة المعنى .

---

[٥٢] - الديوان ص١٥٩.

[٥٣] - الديوان ص١٥٧-١٥٨

[٥٤] - جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب /د. ماهر مهدي هلال/ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٩ ص٢٣٩.

[٥٥] - قضايا الشعر المعاصر/ نازك الملائكة – ط ٢مكتبة النهضة بغداد،١٩٦٥ ص٢٤٢.

[٥٦] - الديوان ص ٢٦٥.

[٥٧] - ينظر: موسيقى الشعر عند البحتري/ حميد يعقوب نعيمة/ رسالة ماجيستير- جامعة بغداد ص ٧٩.

[٥٨] - الديوان ص ٨٦.

المبحث الثالث :

الصورة الشعرية والعناصر الخيالية :

وهي البنية التركيبية من النص الشعري وقد عدها النقاد القدامى والمحدثون بمثابة روح الشعر وجوهره ويرى الدكتور صلاح فضل ان" (الصورة الشعرية جوهر فن الشعر ... تحرير الطاقة الشعرية الكامنة في العلم والتي يحتفظ بها النثر أسيرة لديه)[٥٩]".

كما يرى باحث أخر أنها أي الصورة)(تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة ليقف العالم المحسوس في مقدمتها ، فأغلب الصور من الحواس إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية)[٦٠]".

أما القدماء فنكتفي برأي المفكر الجاحظ حيث يقول فإنما الشعر صناعه وضرب من النسيج وجنس من التصوير)[٦١]".

أما الخيال فهو الذي يصنع الصورة وهو القوة السحرية في القصيدة بل هو أهم عناصرها ولنأت بعد هذا التنظير ا موجز لنرى قدرة خيال امرئ القيس على تكوين صور مختلفة في غزله لان الخيال وحده يميز الفنان المبدع من غيره .

ولم يكتف امرؤ القيس بأجراء الحوار مع حبيباته وما طلبه منهن من الفحش والغواية بل راح يؤسس في قصائده لمشاهد قصصية تطول أو تقصر بحسب الموضوعات الغزلية لتي أراد الشاعر أن يستعرض فيها فحولته المزعومة وتهالك النساء عليه لذا جاءت مشاهده القصصية معرضاً للوصف ولغنائيته المتمثلة بفخره بالشجاعة واقتحام الأهوال من اجل الوصول إلى معشوقاته ، ولم يأتِ وصفه نفسه بالشجاعة إلا بعد أن يصف الصعوبة في الوصول إلى تلك المر أة المخدرة التي يحرسها الكثير، وعلى الرغم من ذلك فهو يصل إلى خدرها وينال بغيته منها ليلاً غير مكترث وغير آبه بما تجره عليه عواقب ذلك ومما يؤيد هذا الرصد أشعاره الكثيرة ومنها قولا[٦٢] " :

وبيضة خدرٍ لا يرامُ خِباؤهـــا تمتّعتُ من لَهْوٍ بها غيرَ مُعجَلِ
تجاوزتُ أحْراساً اليها ومَعْشَـــراً عـــليَّ حِراصاً لو يُسرونَّ مقتلي
إذا ما الثُّريا في ا سماء تعرّضَتْ تعـــرُّضَ اثناء الوشاح المفصَّلِ
فجِئْتُ وقد نضَّتْ لـ ومٍ ثيلبهـــا لـــــدى السترِ إلا لبسة المفضلِ

يتبين مما قلناه في هذا المبحث الذي أردنا أن يجيء مختصراً مشيراً إلى نقاط القوة في أسلوب امرئ القيس الشعري ، يتبين أنّ أ ظهر سمات أسلوبه بساطة التعبير ووضوح المقصد مع التصرف الذي يقوده الطبع السليم بالأساليب البيانية كالاستفه ام والتعجب

---

[٥٩] - النظرية البنائية في النقد الأدبي / د. صلاح فضل– مكتبة الانجلو المصرية / المطبعة الفنية الحديثة ١٩٨٠ ص٣٥٦.

[٦٠] - الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري / د. علي البطل / دار الأندلس ط١ ١٩٨٤ ص٣٠ .

[٦١] - الحيوان .. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / تحيق الأستاذ عبد السلام هارون/ ط٣ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٩.ج٣ /١٣٢.

[٦٢] - الديوان ص ١٣ -١٤ .

والنفي فضلاً عن الخصائص الأسلوبية التي كان يميزها الحوار والمنحى القصصي ، وأكثر قصائده ومقطعاته في الغزل ظلت معرضاً يتأثر بها المتأثرون بمعانيها ومبانيها إلى يومنا هذا . لذا يحق لنا أن نؤكد ما قاله النقاد الأقدمون من إن امرأ القيس ابتدع كثيراً ، ن المعاني الغزلية كاستيقاف الصحب وتشبيه النساء بمشبهات كثيرة وأول من افتتح غزله بالبكاء وتبعه الشعراء بعد .

أولاً الصورة التشبيهية :

وهي الصورة التي تقوم على التشبيه وهو (أي التشبيه) إيجاد علاقة بين الأشياء التي شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الا اف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة يجمع بينهما وجه التشابه وتبقى العملية الإبداعية في التشبيه تركز الثقل على المشبه به دون الشبه .

وقد كثرت التشبهات في غزل امرئ القيس وقد مر بنا في مباحثنا السابقة أن النقاد القدامى عدوه (أحسن طبقته تشبيهاً) ونتأمل نماذج من الص ورة الشعرية القائمة على التشبيه كقولا [٣] :

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

فهذه الصورة الشعرية تستند إلى تشبيه الشاعر نفسه طعن أحبابه بناقف حنظل ، وناقف الحنظل لا يملك سيلان دمعه مثلما لا يملك سيلان الدمع م ن فارق أحبابه واشتد حزنه وشوقه إليهم وثمة صورة أخرى تشبيهيه ترينا ولع الشاعر بالتشبيهات ففي بيت واحد يعرض أكثر من صورة تشبيهيه قائلا [٤] :

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذلل .

فهاتان الصورتان التشبيهيتان قامتا على التشبيه الحسي فخصر معشوقته شبه بزمام يتخذ من سيور وهو لين وشبه ساقها بالأنبوب وذكر كلمة (المذلل) لأنه يسقى ويكرم ، ويطول بنا المقام لو تحرينا تشبيهات الشاعر في غزله بأنواعها المختلفة من حسي وعقلي بيد بعض تشبيهاته التي هي من قبيل الخيال الغريب الذي يصل إلى درجة لوهم قد يلفت نظر الباحث كهذه الصورة التي تضمنها بيته فقال مَنْ يصده عن غايته في الوصول إلى لذته من النساء فقال [٥] :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب اغوال .

فالمشبه به هنا (أنياب الاغوال) غير مألوفة عند العرب فهم لم يروا ا لغول أنما سمعوا خرافة تحكي فعل هذا الوحش .. فالصورة التشبيهية هنا خرجت عن المألوف والخيال فيها انطلق من الذهن ولم ينطلق من الحس .

---

[٦٣] - الديوان ص ٩ و ١٧ .

[٦٤] - الديوان ص ٩ و ١٧ .

[٦٥] - م.ن. ص ٣٣.

بيد أنَّ النقاد التمسوا العذر للشاعر وجعلوا هذه الصورة التشبيهية مستساغة لأنّ القرآن الكريم وردت فيه صورة تشبيهيه تماثل صورة امرئ القيس في اعتمادها على الخيال غير المألوف فقال سبحانه وتعالى : ((طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ))[٦٦] وما أكثر الصور التشبيهية في غزله ولنكتفِ بهذا القدر معرجين على النمط الثاني .

ثانياً

الصورة الاستعارية

والاستعارة كما هو معروف تشبيه حذف احد طرفيه فإن حذفنا المشبه سميناه استعارة تصريحيه وان حذفنا المشبه به وأبقينا لازمه من لوازمه سميت الاستعارة مكنيه وهي اقدر من التشبيه الموحي لقوة المعنى .

ومن استعارته في الغزل قولا[٦٧] :

أتت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبورٍ في مصاحف رهبانِ

فالاستعارة تتراءى في قوله (أتت حجج) والحجج هي السنين وهي لأنّ تأتي لا الإنسان يأتي شبه الحجج بالإنسان وحذف المشبه به وأبقى لازمه من لوازمه وهي الإتيان والسعي ودفعاً للاطاله اثر الباحث أنْ يكتفي بهذا النموذج من الصور الاستعارية تاركاً القارئ يتحر ى الصور الاستعارية الأخرى في ديوان الشاعر .

ثالثاً

الكنائية :

الكناية هي أن الشاعر يريد أثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى ما هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه[٦٨] .

ونقع في ديوان امرئ القيس على عدد من الكنايات في معانيه الغزلية ولنكتفِ بهذه الصورة الكنائية التي ترينا قدرة الشاعر الفنية على وصف المرأة المنعمة المدللة فقال :

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضلِ

ويقوم معنى البيت على الكناية عن صفة المرأة فهي تارة مخدومة تستغرق في النوم إلى الضحى أي أنها لا تهتم بأمرها ، وتارة أخرى لم تشد عليها نطاقاً بعد تفضل والتفضل لبس ثوب واحد وهي ليست بخادم فتتفضل وتنتطق للخدمة .

---

[٦٦] - الصافات / آية ٦٥.

[٦٧] - الديوان ص ٨٩ .

[٦٨] -ينظر: دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني/ تحقيق د. فائز الراية ط ٢، مكتبة سعد الدين - دمشق ١٩٨٧ ص ١٠٥.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في الغزل في شعر امرئ القيس وجدناها عالما مشبعا بفن متميز اكدته المصادر التي اطلعنا عليها قديمها وحديثها ان لامرئ القيس شخصية فنية فريدة ولا غرو ان نجد له مكانة متميزة في ادبنا العربي وتأتي هذه المكانة من نواح ثلاث .
الاولى انه أول من بكى وأبكى ووقف واستوقف وذكر الأصحاب والراحلين [١] فهو مبتكر على حد زعم الدارسين لكثير من المعاني ولا سيما الغزلية،كما انه على حد زعمهم اول من اصل الرقة في غزلنا العربي واستحسن البكاء في الغزل،بيد ان باحثا حديثا يرى ان هذا الراي يجب ان يؤخذ بحذر شديد [٢] ..
اما الناحية الثانية التي تميز بها شعره ولاسيما الغزل فهي تكمن في ان كثيرا من الشعراء تاثرو بألفاظه وقلدوا أسلوبه الفني في محاولة لبلوغ شأوه وأنى لهم ذلك ... فهو شخصية فنية متميزة . أظهرت سماته الفنية البساطة في التعبير والوضوح في المعاني،وهو ما يعرف بالسهل الممتنع .. وهذا ما توصلنا إليه من خلال قراءة قصائده الغزلية ..
اما الثالثة . كانت ألفاظه جزلة، كثير الغريب،سريع الخاطر، وبديع التشبيه والخيال .. ذو نزعة إبداعية،يلائم بين الصور وأسبابها ،فما كان له الأثر في نفسه يطيل في وصفه أما الأمر الذي لا يشكل في نفسه أثرا عميقا فيقصر فيه .

المصادر والمراجع

١. القران الكريم .

٢. أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري دار القامة الجديد – بيروت ١٩٧٩ .

٣. الأغاني أبو الفرج الأصفهاني تحقيق عبد الكريم الغرباوي والدكتور عبد العزيز مطر إشراف محمد ابوالفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ .

٤. تاريخ الأدب العربي احمد حسن الزيات / ط ١٣ / دار المعرفة / بيروت – لبنان / ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م .

(١) ينظر طبقات فحول الشعراء،ابن سلام الجمحي،ص٤٦و٦٧،وكذلك الشعر والشعراء،بن قتيبة ص٥٧.
(٢) ينظر تاريخ الادب العربي قبل الاسلام،د.نوري حمودي وزميليه ص٣٠٩.

٩. تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، نوري حمودي وزميله وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ١٩٨٩ ، .

١٠. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، ماهر مهدي هلال دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٨٩ م .

١١. الحيوان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون – دار الكتاب العربي – بيروت - ١٩٦٩ .

١٢. دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني تحقيق ، فائز الراية - مكتبة سعد الدين – دمشق ١٩٨٧ .

١٣. ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف مصر .

١٤. ديوان طرفه بن العبد . / مع شرح الاديب يوسف الاعلم الشنتمري / طبعة مدينة شالون / مطابع برطرند ١٩٠٠ ، .

١٥. شرح المعلقات السبع للزوزني / ضبط محمد علي حمد الله / المكتبة الاموية – دمشق ١٩٦٣ .

١٦. الشعر الجاهلي دراسة في تأويلاته النفسية والفنية ، سعد حسون مطبعة دار دجلة - الأردن - عمان ٢٠٠٧ ، .

١٧. الشعر والشعراء ، بن قتيبة تحقيق وشرح احمد محمد شاكر – - القاهر – ١٩٩٨ ، .

١٨. الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، علي البطل – دار الأندلس .

١٩. طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي .

٢٠. القصة في مقدمة القصيدة العربية في العصرين الجاهلي والإسلامي ، علي جابر المنصوري مطبعة جامعة بغداد ١٩٩٠ ، .

٢١. قضايا الشعر المعاصر - نازك الملائكة - مكتبة النهضة - بغداد ١٩٦٥ ، .

٢٢. محاضرات في تاريخ النقد عند العرب ، ابتسام مرهون الصفار، ناصر حلاوي ١٩٩٩ ، .

٩ . موسيقى الشعر عند البحتري حميد يعقوب نعيمي رسالة ماجستير – جامعة بغداد .

١٠ . النظرية البنائية في النقد الأدبي ، صلاح فضل مكتبة الانجلو المصرية المطبعة الفنية الحديثة ١٩٨٠ .

١١ . نقد الشعر قدامة بن جعفر تحقيق ، محمد عبد المنعم خفاجي - القاهر .